ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية
ISSN/2716-8417 *رقم الإيداع الوطني 2020/09
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/725
رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية

تأويل النص القرآني عند صدر الدين القونوي (672هـ)

Interpretation of the Qur'anic text at Sadr al-Din al-Qunawi (672 AH)

المعطيات	المؤلف الأول	المؤلف الثاني	المؤلف الثالث
الاسم واللقب	موفق مجيد ليلو		
الدرجة العلمية	م. د مدرس دكتور		
مخبر الانتماء	المديرية العامة لتربية ميسان		
جامعة الانتماء			
البلد	العراق		
البريد الإلكتروني	muaffaqmajeed@gmail.com		
الاسم واللقب والبريد الإلكتروني للمؤلف المرسل	muaffaqmajeed@gmail.com		

الملخص باللغة العربية

الملخص: تحاول هذه الدراسة تحديد ملامح التأويل عن صدر الدين القونوي(672هـ) ومنهجه في تأويل النص القرآني بوصفه علمًا من أعلام العرفان وتلميذا لابن عربي (638هـ)، وأستاذا لحيدر الآملي (787هـ) (وحلقة الوصل بين التصوف والعرفان)، لما تمتلكه المنظومة الفكرية العرفانية من استراتيجيات تؤمن بتعددية القراءات واتساع التأويل بسعة رؤية العارف، من خلال استنطاق النصوص والاهتداء بنور القرآن والعرفان والبرهان. وقد تبين بأن التأويل من مقولة الوجود الخارجي، فتأويل القرآن هو المطابقة بينه وبين عالمي الأنفس والأفاق وليس تفسيراً للفظ أو بيان المصداق فقط. وما يظهره من تأويلات عرفانية ليست الا مكاشفات. وهو بلورة لنظرية ابن عربي في التأويل .

الكلمات المفتاحية: تأويل؛ نص؛هرمنيوطيقا؛قونوي.

الملخص باللغة الأجنبية

ABSTRACT: This studyattempts to identify the features of interpretation of Sadral-Din al-Qunawi (672 AH) and hismethod in interpreting the Qur'anictext as a scholar of mysticism and a disciple of Ibn Arabi (638 AH), and a teacher of Haider Al-Amali (787 AH) (and the linkbetweenmysticism and mysticism), and thenshowing

	the extent to whichthisis compatible with modern interpretationtheories (hermeneutics),Because the mysticalintellectual system possessesstrategiesthatbelieve in the plurality of readings and the breadth of interpretationwith the wide vision of the knower, throughinterrogating the texts and beingguided by the light of the Qur'an, gratitude and proof. It has been shownthatinterpretationisfrom the category of externalexistence.Theinterpretation of the Qur'anis the identification betweenit and the worlds of souls and horizons, and not only an interpretation of the term or a statement of the credible. And whatit shows frommysticalinterpretations are not onlyrevelations. It is a crystallization of Ibn Arabi'stheory of interpretation.
Key Words:	Interpretation ; Text ; Hermeneutics ; Konavi.

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

ثمة ملازمة بين النص والتأويل، بل كان الوجه الآخر لها، وكثيرا ما أدى الى الاختلاف والصراع احيانا، من هنا ندرك أهمية التأويل، ولاسيما في النص القرآني وخطورته على المتأول والمتلقي؛ لأنه الكتاب الذي {**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**}[فصلت:42]، والذي يستوعب برؤيته الإلهية ما كان وما سيكون، وهي رؤية سمحة واسعة، تتعدد فيها القراءات من دون أن تتعارض، ومن دون المساس بالمقدس، ويكون الاختلاف رحمة.

تروم هذه الدراسة رصد مفهوم التأويل في المنظور القرآني لدى صدر الدين القونوي، اي معنى التأويل بالمفهوم القرآني من دون استقصاء المصطلح في الفكر الاسلامي كله؛ لأنّ مساحة البحث الموجزة لا تستوعب ذلك، وهي تختلف عن بعض النظريات التأويلية التي لا تقف عند حد، ولا تقدِّس نصاً، بل كل النصوص خاضعة لمشرط النقد، مهما كان نوعها، فقالت بلا نهائية المعنى، ولا مركزيته، من دون ضوابط أو محددات تقف عندها. ومن ثم بيان التأويل في ضوء الرؤية العرفانية التي ترى أنه من مقولة الوجود الخارجي، وليس من عالم الألفاظ أو المعاني، فهو تطابق بين عوالم التأويل الثلاثة: القرآن والآفاق والأنفس. ثم بيان هذا المفهوم في الفكر الغربي ومدى الاختلاف بين الرؤيتين، مع الإشارة إلى إمكانية تطبيق المناهج التأويلية على النصوص بكل أشكالها.

تتجلى اشكالية البحث في رصد تجليات التأويل في كتاب (اعجاز البيان في تفسير أم القرآن) لصدر الدين القونوي، وبيان أهم ملامح هذا المنهج وكيفية تأويله للنص القرآني وأهم تلك الملامح، ثم بيان مدى تأثره بأستاذه ابن عربي ، وتأثيره بمن بعده.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تدرسمفهوم التأويل لغةً واصطلاحاً، والتأويل في القرآن الكريم، ثم عند العرفاء. ثم منهج صدر الدين القونوي في التأويل وأهم ملامحه بالوصف والتحليل، وختمت هذه القراءة بخاتمة لأهم نتائجها. وختاما اعتذر عما زلَّ به القلم أو أخطأ به الفهم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

2.التأويل بين القرآن والعرفان

تشير المعاجم معان متقاربة لمعنى التأويل تدور حول ابتداء الأمر، وانتهاؤه... أو الرجوع إلى الأصل، ومنه: الموئل للموضع الذي يرجع إليه، ،ومنهم من يجعله مرادفا للتفسير، ويقترب الفيروزآبادي من المعاني السابقة: «آلَ إليه أوْلاً ومآلا: رجع، وعنه: ارتد... وأوّل الكلم تأويلاً وتأوله: دبره وقدره وفسره، والتأويل عبارة الرؤيا[1]. ويذكر الشيخ مصطفوي «أنَّ الأصل الواحد في هذه المادة هو التقدم بحيث يترتب عليه آخر، والتأويل: جعل الشيء متقدماً حتى يترتب عليه غيره، وهو أعمَّ من المادي والمعنوي، ويؤيد هذا المعنى استعماله في قبال الأخر- هو الأول والآخر، وهذا المعنى منظور في جميع مشتقاتها- الأوَّل، الأولى، الأولين، التأويل – في القرآن الكريم»[2].

1.2 التأويل عند المفسرين

ارتبط التفسير بالتأويل وربما كان مرادفا له، ويعني التأويل عندهم بيان المعنى الباطن (المحتمل)، وإنَّ أوَّل أثرٍ تفسيري اشتمل على لفظ (التأويل) هو (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للطبري(310هـ). وعند الطباطبائي وهو «الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنَّه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها، وأنَّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هو من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ، وإنَّما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب فهي كالأمثال تهذب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع»[3].وهذا المعنى يفهم من قوله في موضع آخر: «إنَّ المراد بتأويل الآية ليس مفهوماً من المفاهيم تدل علية الآية سواء كان مخالفاً لظاهرها أم موافقاً، بل هو من قبيل الأمور الخارجية، ولا كل أمر خارجي، حتى يكون المصداق الخارجي للخبر تأويلاً له، بل أمر خارجي مخصوص، نسبته إلى الكلام نسبة الممثَّل إلى المَثل، والباطن إلى الظاهر»[4]، ويشير إلى أنَّ التأويل «عبارة عن حقيقة خارجية لها واقع يستند إليها البيان القرآني سواء أكان حكما أو موعظة وحكمة»[5]. والخلاصة أن الوجود الخارجي هو أحد المعاني المرادة من التأويل في القرآن الكريم، وهو ما يراه الآملي، والذي يرجحه الباحث في معنى التأويل.

2.2 التأويل العرفاني

تبنى رؤية العرفاء التأويلية على النظرة الوجودية للقرآن، أي أنَّ القرآن موجود واحد لا اختلاف فيه، ولكنَّه ذو مراتب، وهذا يجعل القراءات التفسيرية متعددة تبعاً لذلك؛ فكل مرتبة تقتضي مرتبة من الفهم أعمق منها، لا تتعارض معها، وتبقى مناسبة للظاهر العام الذي هو الأصل كما يرى العرفاء، وأما المعاني الباطنة فهي سوانح ومكاشفات ذوقية تخطر على قلوب أصحابها، يتحمَّلها النص دون ان تقدح بظواهره، ودون أن تتعارض مع ما قال به علماء الرسوم. فالركيزة الأساس في تعدد القراءات هي «الواقع وليس الفهم، فالواقع هو الذي ينطوي على مراتب، لا أنَّ للفهم مراتب، فالفهم مرتبط بالواقع، وعلى نحو أدق بمرتبة

الواقع»[6] إنَّ جميع القراءات عند العرفاء تعدُّ صحيحةً- ضمن الضوابط- ولكن بنسبة معينة، فكل ذوق وقراءة تختلف عن صاحبتها دون أن تعارضها، وكلٌّ يفهم ما هو بمرتبته، فإذا ارتقى إلى ما هو أرفع مرتبة، أصبح الفهم السابق ظاهرًا للباطن الذي عرفه وهكذا، وبعبارة أوضح إن للقرآن في هذه النشأة ظهورًا ومرتبةً تختلف عن المراتب الأخرى في النشآت المختلفة، والعارف لا يكتفي بالفهم الظاهر؛ لأنَّه ارتقى درجة على (علماء الرسوم)، وهذه الدرجة على نحو التشكيك الوجودي، إذ تختلف من عارف إلى آخر؛ ولذلك يندر أن نجد تفسيرين عرفانيين يتفقان اتفاقًا كليًا؛ لاختلاف التجربتين، واتساع الرؤية وضيقها بالنسبة للعارف، وكلها تصيب الواقع، ولكن بمرتبة ما؛ لأنَّ رؤية العارف تستوعب الجميع، ولكن ضمن الضوابط المذكورة، «إذ الافهام والقراءات تصيب الواقع أجمعها– بافتراض صحة الضوابط الأخرى- ولكن غاية ما هناك أن كل فهم أو قراءة تصيبه في درجة أو في مرتبة من مراتبه» [7]

وقد ينقدح في الذهن إشكال وهو أنَّه: إذا كانت كل القراءات تصيب الواقع ولكن بنسبة معينة، فإنَّ هذا يستدعي تأويل آيات الأحكام تأويلاً باطنًا، كما في الطهارة القلبية والصيام عن المعاصي وغيرها، فتنتفي الواجبات والمحرمات على وفق هذا الفهم؟

ويمكن أن يجاب: بأنَّ الفهم الباطن للنص لا يلغي الظاهر، بل يعدَّه أُسَّاً لفهمه، والمرتبة الأولى من مراتب الفهم، فالعارف لا يلغي الواجبات أو يقلل من أهمية الظاهر، وإنَّما العبادة هي وسيلته للارتقاء، والتقوى هي سبيل المعرفة والكشف، وأمَّا من يرى أن القراءات العرفانية للنص هي أقرب إلى (تداعي المعاني) التي تنقدح في القلب عند تلاوة الآيات الكريمة[8]فذلك أمر مخالف لرؤية العارف الذي يرى الوجود ومراتبه بقلبه وبصيرته لا بعقله وينكشف له منها بقدر تجربته الكشفية والشهودية وليس الامر متعلقا بتداعي المعاني.

وهذه الرؤية الرحبة تنفتح على الآخر، وتعدد القراءات، مع مراعاة الضوابط، ومنها أن لا يتعارض مع الظواهر، ولا يخرج عن حدود الشريعة. ومع ذلك تبقى التأويلات العرفانية متفاوتة بين المفسرين شدةً وضعفًا، تبعا لذوق العارف وسعة تجربته. كما تسمح بحرية القراءة وتعددها، ولكن بعد أن يمتلك المفسر أدواته ويتمكن منها مراعيًا في كل ذلك القيود، ومع ذلك فإنَّ منهج العرفاء في تأويل النصوص يمثل مدرسة واتجاهًا خاصًا، يعتمد على الكشف والشهود مصدرًا للمعرفة.

3 منهج صدر الدين القونويفي تأويل النص القرآني

في كتابه (اعجاز البيان في تفسير أم القرآن)

قدَّم القُونوي[9] في كتابه (اعجاز البيان في تفسير أم القرآن) ما يمكن أن نعدّه رؤية شبه متكاملة في تأسيس لنظرية تأويلية إسلامية على خطى أستاذه ابن عربي، الا أنه ركّز على إثبات حقانية التفسير الذوقي من خلال مقدمات تمهيدية تؤيده وتبرره، مع تفصيل واف وسرد لأدلة القوم وعدم الاكتفاء بالسوانح والمكاشفات، بل أيَّد ذلك بمؤيدات عقلية ولغوية وروائية ليعزز نظريته، ومن هنا فإن تتبع كل ملاحظاته ومقدماته ربما لا تتسع له هذه الدراسة الموجزة، لصعوبة العبارة واحتياجها الى الشرح والتفسير، فضلا عن

اصطلاحات القوم التي لا تفي بها اللغة، ومع ذلك فإننا سنوجز أهم مفاصل النظرية التأويلية والخصائص المنهجية لها .

1.3 خصائص النهج التأويلي عند القونوي

ولعل من أهم سماتها- وسأستعمل تعبيرات المؤلف- حفاظا على دقة المعنى وأمانته:

1- الإيجاز

اعتماد الإشارة والإيماء والجمع بين لساني الكتم والإفشاء بعد الإعراض عن البسط والإطالة، فهو كتاب موجز اعتمد أسلوب الإشارة بما يناسب المقام. فالقونوي لم يفصل القول في كتابه هذا لإيمانه أنَّ النص القرآني لا تستوعبه المجلدات، ولا تنفد كلمات الرحمن مهما كتب المفسرون، فضلا عن أنَّ الفاتحة– كما هو معلوم– جامعة لعلوم القرآن الكريم، فالكلام فيها كلام موجز بما يسمح له المقام بلسان الإشارة الايماء. وهو يعمد الى بيان التفسير اللغوي او لسان اهل الظاهر ثم ينتقل الى لسان أهل الباطن.

2- التحديد والتعريف

على الرغم من موقف القونوي الصريح بعدم إمكانية تعريف العلم؛ لأنَّه «عين النور لا يدرك شيء الا به ولا يوجد أمر بدونه، ولشدة ظهوره لا يمكن تعريفه، اذ من شرط المعرِّف أن يكون أجلى من المعرَّف وسابق عليه، وما ثمة ما هو أجلى من العلم ولا سابق عليه الا غيب السموات الذات، الذي لا يحيط به علم أحد غير الحق»(10)، غير أنَّ القونوي يأتي على تعريف العلم ويوضِّحه بعد ذلك مبررا ذلك بأنَّ المعرف للعلم «إما جاهل بسرِّه، وإما عارف يقصد التنبيه على مرتبته من حيث بعض صفاته لا التعريف التام له، ولهذا التعريف التنبيهي سرٌّ وهو كون المعرف العارف إنَّما يعرف بحكم من أحكام العلم وصفة من صفاته حكما آخر أو صفة أخرى من أحكام العلم أيضًا وصفاته، فيكون القدر الحاصل من المعرفة بالعلم إنَّما حصل به لا بغيره فيكون الشيء هو المعرِّف نفسه، ولكن لا من حيث أحديته، بل من حيث نسبه، وهذا هو سرّ الأدلة والتعريفات والتأثيرات كلها على اختلاف مراتبها ومتعلقاتها»(11) ومثله تعريف البرزخ الأول والصورة وغيرها من التعريفات(12).

ومن هنا فإنَّ التعريف- في ضوء تلك الرؤية- لا يكون تاماً أو حقيقياً كما يسمى، بل يبقى تعريفاً تنبيهياً فقط، يبين بعض الصفات من حيث نسبه، ويبقى التعريف فقيرا لا يعبر عن كل حيثيات المعرَّف، ومع ذلك فنحن نحتاج اليه للتنبيه وبيان جهة ما. وبناءً على ذلك نجد أن تعريف القونوي للعلم ربما زاد المعرَّف غموضا، اذ يقول: «عرفت أنَّ العلم الصحيح– الذي هو النور الكاشف للأشياء عند المحققين من أهل الله وخاصته- عبارة عن تجلٍّ إلهي في حضرة نور ذاته، وقبول المتجلى له ذلك العلم هو بصفة وحدته بعد سقوط أحكام نسب الكثرة والاعتبارات الكونية عنه كما مرَّ، وعلى نحو ما يرد ذلك بحكم عينه الثابتة في علم ربه أزلاً من الوجه الذي لا واسطة بينه وبين موجده؛ لأنَّه في حضرة علمه ما برح»(13). فالعلم وهبي وهو نور يقذفه الله في قلب من يشاء، وليس كسبيًا.

والتعريف– كما ذكرنا- لا يزال محتاجا الى الفك والتوضيح، وهكذا في بقية التعريفات والمصطلحات التي يوردها، وهذه سمة المصطلح الصوفي الذي لا يستعين بمعجم اللغة بل يبني له معجما خاصا ودلالات عرفانية تكتسب اهميتها من عمق التجربة وقوتها للعارف وتختلف وتتفاوت بقدره لا بقدرها.

ولننظر الى تعريف الغيب المطلق وهو– كما يرى القونوي- «إشارة الى ذات الحق سبحانه وتعالى وهويته من حيث بطونه وإطلاقه وعدم الإحاطة بكنهه وتقدمه على الأشياء وإحاطته بها وهو بعينه النور المحض والوجود البحت، والمنعوت بمقام العزة والغنى»[14] فالتعريف يلجأ اليه في احيان قليلة لبيان الشيء، ولكنه يبقى عاجزا وغير تام في أحيان كثيرة، وكذا في بيان مصطلحات العلم وتحديدها.

3- الاكتفاء بالتأويل الخاص للقونوي

لم يعتمد القونوي في هذا التفسير على آراء غيره من العرفاء والمفسرين، ولم يخلط بينها بل كان مكتفيا بالتأويلات الخاصة (الهبات الإلهية الذاتية عن آثار الصفات المكتسبة والعواري)، وهذا يعني أنَّه اشتغل على التأويل فقط الذي يعرض للعارف في مكاشافاته، فهي تجربة فردية وفريدة لا تشترك مع كلام أهل الظاهر. ولكل عارف تجربته وقراءته التي لا تتعارض مع غيره من العرفاء بل تكون في طولها لا عرضها، أي أنها لا تتقاطع مع غيرها نعم ربما يكون بين القراءات تقارب وتفاوت بقدر عمق التجربة العرفانية وتجلياتها[15]، وهو بلا شك لم يمزج بين كلامه وأقاويل المفسرين ولا الناقلين المتفكرين وغير المتفكرين غير ما يوجبه حكم اللسان ويستدعيه من حيث الارتباط الثابت بين الألفاظ والمعاني التي هي قوالب لها وظروف ومغان[16].

3. 2 نماذج من تأويلاته

- **خفاء الألف في البسملة**

يربط القونوي بين الخفاء الاملائي لرسم الالف في البسملة في (بسم، الله، الرحمن) وبين الخفاء (الوجودي) أو الظهوري يقول: ((وخفي الالف- الذي هو مظهر الواحد- بين الباء والسين تعريفا بسرِّ المعية، وسريان حكم الجمع بالأحدية، وكذلك خفي في وسط الاسم (الله) والاسم (الرحمن) اللذين هما الأصلان لباقي الأسماء وقد عرفتك بسر الوسط فافهم، وخفي أيضا هو باعتبار آخر في المراتب الثلاثة المقابلة لهذه الثلاث المذكورة المختصة بالعبودية التامة وهي المقابلة للربوبية التامة ، وهي الياء الساكنة في السين والميم والجيم ليعلم سريان تجلي الحق في كل حقيقية ومرتبة سريان الواحد في المراتب العددية المظهر للأعداد...))[17]

فالخفاء عنده لا يتعلق بعلة املائية او صورية وانما هي تشخصات وصور للعالم التكويني وخفاء لمظهر الوجود الواحد.وثمة أمر لابدَّ من الالتفات اليه في تأويلات القونوي وهي سمة ونظرية مميزة للتصوف، فهناك ثلاثة عوالم متوازية عالم التكوين أو الوجود، أو العالم الخارجي، والانسان، والقرآن، فثمة متقابلات بين هذه العوالم ينطبق منها الصوفية لبناء عوالمه[18].

- **تأويل ((وعنده مفاتح الغيب...))**

قال : ((فإنَّ متعلق النفي في قوله سبحانه ((وعنده...)) إنَّما هو نفي أنْ يعرف مجموعها غير الحق، وأنْ تعرف من كونها مفاتيح الغيب، وأنْ تعرف الا بتعريفه سبحانه وتعليمه.

فأما كون المفاتيح لا تعلم نفسها ولا يعرف بعضها بعضا ولا تعرف من هي مفاتيحه لا تعرف بتعريفه دون كسب وقصد فذلك لا نص فيه)) [19].

يرى القونوي أن النفي في الآية متعلق بالمجموع، او معرفة كونها مفاتيح أو لا تعرف الا بتعريفه ، هذا ما تنص عليه الآية الكريمة – حسب ما يرى القونوي- وأما ما عداه فلا نص فيه. وبهذا فإنه يوسع دائرة التأويل للنص ويفتح وجوها أخرى وأبوابا ربما لم يشر اليها المفسرون، فما المفتاح الذي يشير اليه القونوي؟ وما مصاديقه؟ وهل يمكن معرفة بعض المفاتيح؟ وما مساحة هذه المعرفة؟

هذه الأسئلة وغيرها ربما ترد على الاذهان، وقد أشار القونوي في مجمل كلامه الى ذلك يقول: ((ومن اطلع على بعض اسرارها عرف أن المتعذر هو معرفتها من كونها مفاتيح أُوَل مطلق الغيب، باعتبار فتحها الاول لا من حيث حقائقها؛ فإنَّ المفتاحية نعت زائد على حقيقتها تعرف بمشاهدة فتحها ومشاهدة كيفية الفتح الاول لا يعلمه غير الحق؛ لتقدمه بالذات على كل شيء...وأيضا معنى المفتاحية نسبة بين الحقيقة المنعوتة بها وبين الغيب الذي بفتحه تثبت هه النسبة والصفة للحقيقة المنعوتة بالمفتاحية وتحقق النسبة بين الامرين يتوقف على معرفة ذينك الأمرين وأحد الأمرين هو الغيب الالهي الذاتي ولا خلاف في استحالة معرفة ذاته سبحانه من حيث حقيقتها لا باعتبار اسم او حكم او نسبة او مرتبة**))** [20].

4- **إنَّ هذا الكتاب في حقيقته موجَّه لأهل المعرفة** يقول: ((إنَّ قبلةَ مخاطبتي هذه بالقصد الأوَّل هم المحقِّقون من أهل الحقِّ والمحبّون لهم والمؤمنون بأحوالهم من أهل القلوب المنورة الصافية والفطرة السليمة...)) [21]

5- **لم يعتمد على الحجج الشرعية أو الأدلة النظرية** إلا تأنيسًا للمحجوبين وتسكينًا للضعفاء المترددين وتذكرة للمشاركين. وللإيجاز وابتعادًا عن الجدل في كتاب الله تعالى. وسيرًا على دأب الحكماء الأوائل؛ ولأنَّ الخطاب هنا هو لأهل التحقيق والمؤمنين به.

6- **تقديم مقدمات وأصول وقواعد كلية في العلم للوقوف على الأسباب والمبادئ والعلل.**

7- **كل قاعدة تشتمل على مسائل يمكن البرهنة عليها بالحجج الشرعية أو الأدلة النظرية أو البراهين الذوقية الكشفية وهو أهمها.**

8- **إنَّ المكاشفات والأدلة العرفانية لا اعتراض عليها عند أهل الذوق**، على خلاف أهل النظر والعقل فإنّهمَ يتهافتون بينهم. وهذا يجعلها أكثر قبولا، وخاصة أننا أشرنا الى أن الكتاب– كما يرى مؤلفه- موجَّه لأهل المعرفة والمكاشفات، فلا حاجة الى سرد الأدلة وتسويد الصفحات بما لا طائل منه، بل يكفي أن يقول العارف ويرى ليكون ذلك كشفا وحجة لا يطلب بعدها حجة، ذلك أنَّ (منْ ذاقَ عرفَ).

9- **تعدد وجوه المعرفة من حيث كل عارف يطلب صفة خاصة وجهة لازمة.** فليست الوجوه المتعددة للمعرفة الا بقدر عمق التجربة واتساع الرؤية وطي السالك لسفره، ومن هنا فلا يجوز لمن هو بمرتبة

أعلى أن يسقط من دونه؛ لأنَّه سيسقطه من فوقه أيضًا كما يروى، بل لكل معرفته وجهته التي ينظر اليها، وبعبارة أيسر كلٌ ينظر بمنظاره ورؤيته. ولذا فإنَ عالم العبارة عند العارفين ربما يضيق بالنسبة الى سعة حضرة الحقائق، والمعاني العبارات لا تفي بتشخيص ما في الباطن على ما هو عليه، بل يبقى المعنى مشككا – بالمعنى المنطقي- بحيث تتحقق درجة منه لعارف دون آخر ، ومن جهة دون أخرى.

10- الاستشهاد بالشعر الصوفي والمجازي على نحو الحقيقة الصوفية لا المجاز.

ففي مقام تأويل رواية النوافل المعروفة ((كنت سمعه وبصره)) يستشهد ببيت مشهور لأبي نواس يقول فيه:

تسترت عن دهري بظل جناحه فصرت أرى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام ما اسمي؟ لما درت وأين مكاني؟ ما درين مكاني

ومنه أيضا أبيات رابعة المشهورة[22] وأبيات لابن عربي وغيره.

11- النحو الصوفي واللغة

النحو ومصطلحاته عند العرفاء يكتسب دلالات ذوقية جديدة ، تختلف عن معناها الاصطلاحي في العلم، وقد ألف الصوفية والعرفاء في ذلك كتبا منها نحو القلوب الكبير والصغير (للقشيري) وغيرها. بل وكل مكونات الكلام من النقط والحركات والحروف والكلمات والجمل والاعراب في النص القرآني .

فمن ذلك سر التراكيب الستة في العربية يقول:((هذه التراكيب مشهورة عند النحويين، وقد اتفقوا في افادة تركيبين منها واختلفوا في الواحد في بعض الصور، واتفقوا في عرو الفائدة من الثلاثة الباقية:

فالمتفق عليه: تركيب الاسم مع الاسم، ومع الفعل. والمختلف عليه في بعض الصور: الاسم مع الحرف في النداء. والعاري من الفائدة هو تركيب الفعل مع الفعل، ومع الحرف، وتركيب الحرف مع الحرف...

اعلم أن الاسم في التحقيق هو التجلي المظهر لعين الممكن الثابتة في العلم، ولكن من حيث تعين ذلك التجلي المنبعث من الغيب المطلق في مرتبة هذه العين التي هي مظهره ومعيِّنته. فالعين الممكنة التي هي المظهر اسم للتجلي المتعين به وفي مرتبته والتجلي من تعينه، اسم دال على الغيب المطلق غير المتعين.

والتسمية عبارة عن نفس دلالة الاسم على الأصل الذي تعين منه ودل عليه، ...

والحرف هو عين العين الثابتة من حيث انفراها ، حتى عن أحكامها وتوابعها.

والفعل هو نسبة التأثير وارتباط الحكم الإيجادي الثابت بين الحق لا من حيث هو لنفسه، بل هو من كونه موجدا، وبين العين لا من كونها عينا فحسب، بل من كونها موجدة للحق وقابلةً حكم إيجاده وأثره باستعدادها المقتضي ترجيح ايجادها [دون غيرها من الممكنات التي لم يتعلق العلم بإيجادها] في دائرة الظهور المنتقش الحكم في ذات القلم الأعلى)) [23].

من خلال هذا النص الطويل، يتضح للقارئ مدى الاتساع الدلالي في القراءة العرفانية، والدلالات الجديدة التي تسبغها قراءة القونوي على النحو وأبوابه ومتعلقاته، وكلها من عالم المعنى، وهي تختلف كليا عن القراءة الاصطلاحية للنحو، بل تقوم على القطيعة بين اللفظ والمعنى، نعم ربما استعان العارف بالمصطلح لضيق اللغة ولتوظيفها في خدمة مدركاته ومكاشفاته. ولا يقتصر الأمر على أبواب النحو، بل حتى الحركات لها دلالتها العرفانية التي تنطوي على عوالم خفية لا ينالها الا من ذاق المعرفة وتشرب، يقول في

تأويل معنى الحركات في العربية من خلال دلالاتها العرفانية : ((والاعراب: الرفع والنص والجر والتنوين والسكون الحي والسادسة السلبية : السكون الميت ، وحذف الحرف القائم مقام الاعراب.

فالرفع للمرتبة الروحانية .

والنصب والجر للصورة الظاهرة والطبيعية .

والسكون الحي للحكم الأحدي الإلهي الأول المختص بحضرة الجمع العام الحكم على الأشياء ، فهو أمر معقول ثابت يرى أثره ولا يُشهد عينه،...

والسكون الميت كالموت والجمود والتحليل والفناء ونحو ذلك)) [(24)].

ومن ذلك أيضا ما يدخل في حساب الحروف أو الجمل، فالحروف عند العرفاء عالم خاص يوازي عالم التكوين ويقابله وكل حرف له معنى ودلالة وحساب في عالم الحروف.[25].

ومن بين الأمور المتعلقة باللغة والحروف قصدية الترتيب القرآني إذ يرى القونوي أنَّ الترتيب القصدي يشمل كل حرف ، فقد وضع كل شيء بترتيب مقدر ، وهو لا يختلف بذلك مع المفسرين الا من خلال بيان تأويلاته واختلاف دلالاته، ففكرة القصدية في الاستعمال القرآني ثابتة لدى العلماء والمفسرين الا ما ندر، فهو يقول : ((ولولا همم الخلق وعقولهم تضعف وتعجز عن الترقي الى ذروة هذا الذوق ،وخرق حجبه والتنزه في رياض نتائجه وكمالاته ، وطباعهم تمجّه لبعد المناسبة ، لأظهرت مع عجزي وضعفي– من أسراره ما يبهر العقول والأذهان والبصائر والأفكار، ولكن ((ما يفتح الله من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)) [(26)].

وفي مقام البحث اللغوي والاشتقاق نجد القونوي يبرع في عرض آراء اللغويين والصرفيين في اشتقاق اسم الذات الالهية (لفظ الجلالة الله)أو القول بأنه علم في تفصيل واستدلال طويلين لا يتسع لهما المقام مع مناقشة دقيقة وتفصيلية للوجود من وجهة نظر لغوية ومرة ذوقية ومرة نظرية مع الاشارة الى أهم خصائص لفظ الجلالة في اللغة لينتهي بذلك الى أن هذا الاسم المقدس ليس علما للذات الالهية بل لا يمكن أن يكون لذاته علما على نحو المطابقة التامة، لأن العلم موضوع لما هو معلوم والخلق المحدودون لا يعلمون الحق من حيث ذاته، والخلاصة أن لفظ الجلالة الله ليس علماً للذات الإلهية على نحو الدلالة المطابقة ذوقاً ونظراً ولغةً، وهذا مخالف لكثير من المفسرين، بل ربما اجماعهم.[(27)]، ولهذا الاسم خواص لا توجد في غيره في العربية [(28)].

الخاتمة

في نهاية المطاف لابدَّ لهذه القراءة أن تقف على أهم الثمرات التي أينعتها وتتلخص بما يلي:

1- التأويل في القرآن من مقولة الوجود الخارجي، فتأويل الكلام هو وقوعه في الخارج ، وعند العرفاء هو المطابقة بينه وبين عالمي الأنفس والأفاق وليس تفسيراً للفظ أو بيان المصداق فقط. أمّا التأويل الغربي باتجاهاته المختلفة فهو من مقولة اللفظ والمفهوم. والقونوي أيضا ممن يقول بتوازي العالم أو المطابقة[(29)].فالقرآن الكريم كله له تأويل وليس المتشابه وحده. وهو من مختصات الراسخين في العلم،

وأما العلماء من تابعيهم فهم يعلمون تأويله، ولكن كل بحسب مرتبته. فشرط التأويل أن يتخلق الإنسان بالتقوى وهي وسيلته لتحصيل المعاني الباطنة للقران؛ لأنَّه كتاب **{لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}** [الواقعة:79].وقد أشار القونوي تفصيلا الى وسائل تحصيل العلم الذوقي في بحوثه التمهيدية في التفسير [30].

2- تنبني نظرية العرفاء على رؤية مراتبية القرآن وأنَّه موجود واحد له عدة مراتب، فالتفسير يختص بالظاهر، والتأويل لبواطن القرآن، ويعني الوقوف على مرتبة دون أخرى. وهذه التأويلات عمودية لا أفقية، أي أنَّها لا تتعارض أو تتصادم بين الشريعة والطريقة والحقيقة، بل كل مرتبة أعلى مما قبلها ومبتنية عليها، بخلاف مفهوم التأويل الذي يؤمن بتعدد القراءات الأفقية والتي قد تتعارض مع بعضها.

3- وحدة الوجود هي الفكرة المركزية التي تدور حولها تأويلات العرفاء وآراؤهم في العقيدة ، ولا تعني الاتحاد أو الحلول وإنَّما تعني كون الموجودات كلها مجال ومظاهر للحق سبحانه، فليس في الوجود إلا هو وأسماؤه وصفاته وأفعاله.

4- يؤمن القونوي بأن التأويل من مقولة الوجود الخارجي، فتأويل القرآن هو المطابقة بينه وبين عالمي الأنفس والأفاق وليس تفسيراً للفظ أو بيان المصداق فقط. وما يظهره من تأويلات عرفانية ليست الا مكاشفات.

5- تفسير القونوي هو بلورة لنظرية ابن عربي في التأويل، ذلك أنَّ الأخير كان يطرح أفكاره في كتبه، ولاسيما الفتوحات والفصوص ولم يعرف لابن عربي تفسير مطبوع صحيح النسبة إليه بين أيدينا[31]. وهذا لا يعني أنَّ القونوي لم يضف شيئاً جديداً للمنظومة العرفانية، وإنَّما جسَّد النظرية في تفسير تطبيقي تضمن أفكار ابن عربي في ضوء الرؤية القرآنية مع الاستناد في كل ذلك إلى النقل والعقل والكشف، فالقونوي لم يكن سوى (نسخة معدلة) عن ابن عربي.

6- شرط التأويل أن يتخلق الإنسان التقوى فهي وسيلته لتحصيل المعاني الباطنة للقران؛ لأنَّه كتاب **{لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}** [الواقعة:79].

7- فكر القونوي فكر توفيقي استطاع الجمع بين النقل والعقل والكشف، أو القرآن والبرهان والعرفان. وربما كانت نواة لمدرسة الحكمة المتعالية لصدر الدين الشيرازي، وكان القونوي أكثر إبرازاً لهذه الأفكار بعد أن استطاع الجمع في منهجه بين النقل والعقل والكشف.

8- تشكل اللغة آلية فعالة عند القونوي، فهو يلجأ إلى الاشتقاق والتشبيه في الكثير من المواضع لتقريب الفكرة والتعبير عما تنوء به لغة التصريح .

9- كان القونوي كثير الاستشهاد بكلام الأعلام والشعر أحياناً لتأييد فرضية او فكرة معينة، ولاسيما ابن عربي وابن الفارض.

10- للعدد عند القونوي إشارة قصدية، وليست اعتباطية أو دلالة على الكثرة والمبالغة على المشهور عند المفسرين والأعلام. وهو يميل إلى الحسابات الهندسية الدقيقة في قراءته للأعداد وقصديتها في الموروث الديني كتاباً وسنة.

11- اعتماده على المعنى اللغوي ثم البرهاني ثم الكشفي في التفسير للإقناع وإيراد في الحجة، وهو صاحب جدل ومحاجة عقلية.

12- تركت نظرية القونوي أثرها في التفسير ولاسيما تفاسير الإمامية (وعلى وجه الخصوص العرفانيين، كتفسير صدر المتألهين والميزان .

13- يؤمن القونوي بأنَّ المجاز مرتبة ووجها للحقيقة وليس ضداً أو نقيضاً لها، وهي نظرية ترددت في كتب العرفاء قبله نجدها عن القاشاني وابن عربي من قبله فالمجاز باطن الحقيقة أو وجهاً آخر من وجوهها؛ لأنَّ الألفاظ وضعت للمعاني المجردة المطلقة لأغراضها أو الهدف منها، فالميزان لكل ما يوزن به بغض النظر عن نوع الميزان حسياً كان أو مجرداً، وهكذا بقية الألفاظ وتسمى هذه النظرية في كلماتهم بـ (روح المعنى).

14- يمكن أن تكون نظرية القونوي في التأويل نظرية لفهم النص القرآني؛ لأنَّها وضعت شروطاً وقيوداً للتأويل وخصصته، وليس لكل شخص أن يتصدى لتفسير النص القرآني ما لم يستحصل أسباب الرسوخ ومن أهمها التقوى بعد استحصال العلوم النقلية والعقلية.

15- ليس للقونوي معجم اصطلاحي خاص به، ولم ينفرد باصطلاحات فنية عرفانية خاصة، بل يمكن الجزم أنَّ أكثر مصطلحاته هي لمن سبقه من العرفاء السابقين، ولاسيما ابن عربي والقاشاني وغيرهما، ولكن ربما أعطى تفسيرا جديدا لبعض المصطلحات فقد تأثر كثيرا بابن عربي فكراً واصطلاحاً، ولم يشذَّ عنه إلا ما ندر.

---

[1] ينظر: معجم مقاييس اللغة:1/158-162. والمفردات:31. والقاموس المحيط:886. و لسان العرب:11/32.مادة (أول).

[2] التحقيق في كلمات القران الكريم:1/190- 192.

[3] الميزان:3/46.

[4] الميزان:3/46، 51.

[5] مقالات تأسيسية:326، وينظر: الميزان:3/49.

[6] التأويل والهرمنيوطيقا،2012: 75.

[7] التأويل والهرمنيوطيقا: 76

[8] التمهيد في علوم القرآن:10/ 434- 436،

[9] صدر الدين القونوي (1209م - 672 هـ/1274م)، هو محمد صدر الدين أبو المعالي بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن على، الشهير بالقونوي، وكان أبوه اسحاق من أشراف السلاجقة، ولد في محافظة ملاطية في آناضول سنة 606 هـ - 1209م، نشأ صدر الدين في أسرة غنية تبدو عليه آثار الثراء، وكانت وفاته 672 هـ1274م، وأوصى أن يدفن في الحارة الصالحية بجانب محي الدين بن عربي في دمشق، ولكن لم يتمكن ذلك. وهو صوفي تركي، وأحد تلاميذ محي الدين بن عربي، له مؤلفات كثيرة أغلبها عن محي الدين بن عربي وقد بقيت بعض المخطوطات، من مؤلفاته: تبصرة المبتدئ وتذكرة المنتهي، فكوك النصوص في مستندات حكم الفصوص للشيخ الأكبر، التجليات، النفحات وغيرها، عندما توفي أبوه حوالى 615 هـ وهو صغير، تزوجت أمه بأستاذه ابن عربي على ما يروى، وكان عمره يتراوح بين الحادية أو الثانية عشر حينما تتلمذ عليه وذهب معه إلى دمشق ولم يفارقه إلى أن توفى ابن عربي، ظل بعده في دمشق وشكل حلقة تدريسية لفترة ثم انتقل منها إلى حلب سنة 640 هـ/ 1242م، ومنها خرج مسافراً إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ثم ذهب إلى مصر وظل بها مدة، والتقى بمصر بابن سبعين الذي كان يقول بوحدة الوجود.

كانت تربطه بجلال الدين الرومي رابطة قوية، وأوصى الرومي بأن يصلى القونوي على جنازته بعد وفاته من بين علماء قونية. ينظر:(اعجاز البيان في تفسير أم القرآن: المقدمة).

[10] القونوي، صدر الدين(673ه)، ، قدمه وصححه: الاستاذ السيد جلال الدين الاشتياني، مؤسسة بوستان كتاب، قم ، ط1، 1423ه.

[11] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:50

[12] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:32

[13] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:54

[14] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:49

[15] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:129

[16] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:13

[17] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:123

[18] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن: 94

[19] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن: 139

[20] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن: 23

[21] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:18

[22] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن: 223

[23] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن: 71

[24] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن: 82

[25] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن: 87

[26] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن: 129

[27] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:155

[28] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:153

[29] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:94

[30] اعجاز البيان في تفسير أم القرآن:37

[31]هناك تفسيران يحملان اسم ابن عربي الأول تفسير ابن عربي، وهو في الحقيقة لعبد الرزاق القاشاني والثاني (رحمة من الرحمن)، وهو تفسير مجموع لمحمود محمود الغراب جمعه في ثلاث وعشرين سنة من كتب ابن عربي، وكلا التفسيرين كما يظهر ليسا من تأليف ابن عربي.

المراجع

القرآن الكريم

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا الرازي (395ه) **معجم مقاييس اللغة**، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1420،1ه-1999م.
- ابن منظور، العلامة أبو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي المصري(711ه)، **لسان العرب**، دار صادر- بيروت، 1956م.
- الأصفهاني، الراغب (502ه)، **المفردات في غريب القرآن**، تح: محمد سيد كيلاني دار المعرفة- بيروت.
- **التأويل والهرمنيوطيقا- دراسات في آليات القراءة والتفسير**، مجموعة باحثين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت، ط1، 2011م.
- جاسبر، دايفيد ، **مقدمة في الهرمنيوطيقا**، تر: وجيه قانصو، منشورات الاختلاف- الجزائر، ط1، 2007م.
- الطباطبائي، السيد محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط3، 1391ه.
- الطباطبائي، السيد محمد حسين.، **مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي**، تر:خالد توفيق، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، قم– إيران، ط1، 1415ه.

- الفيروزآبادي، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب (817هـ)، **القاموس المحيط**، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط2، 2003م.
- **القونوي، صدر الدين(673هـ)، اعجاز البيان في تفسير أم القرآن**، قدمه وصححه: الاستاذ السيد جلال الدين الاشتياني، مؤسسة بوستان كتاب، قم ، ط1، 1423هـ.
- المصطفوي، المحقق العلامة (1426هـ)، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط3، 2010م.
- معرفة، العلامة محمد هادي، **التمهيد في علوم القرآن**، مؤسسة التمهيد، مط: ستارة، قم– إيران، ط3، 1432هـ-2011م.